رسالة رئيس الجامعة الأنطونيّة الأب ميشال السغبيني

إلى الأُسرة الجامعيّة

٢٣ نيسان ٢٠٢٦

أحبّائي،

بينما تضع الحرب أوزارها إلى حين، وتهدن أصوات الغارات والقنابل ودويّها، يرتفع في قلوبنا ووجداننا صوتٌ أقوى من كلّ ضجيج: صوت الامتنان للحياة، وصوت المسؤوليّة تجاه بعضنا البعض، وتجاه وطننا الجريح والمهشَّم. إنّ عودتنا المرتقبة إلى مقاعد الدراسة لن تكون مجرّد استئناف للمناهج الأكاديميّة ومحاولة لإنقاذ ما تبقّى من الفصل فحسب، بل هي أيضًا عودة إلى استئناف بناء الإنسان، وإعادة حياكة وحدته الممزّقة، فهُما المهمّة الأسمى والرسالة الأقدس بالنسبة إلى جامعتنا الأنطونيّة.

"أين أخوك؟"... سؤال المسؤوليّة والتكاتُف

في هذه اللحظات المفصليّة، يتردّد في ضمائرنا صدى السؤال الإلهيّ الأوّل: "**أين أخوك؟**". إنّه سؤال الله لقايين، والذي يوجّهه إلينا اليوم، لا ليسألنا عن الموقع الجغرافيّ، بل عن "موقعنا" الإنسانيّ من معاناة إخوتنا. والإجابة الصحيحة، التي تعكس تراثنا الأنطونيّ، وما نتربّى عليه في عائلتنا الأكاديميّة، لا يمكن أن تكون: "لَعَلّي حارسٌ لأخي؟"، بل هي: "نعم، أنا حارسٌ لأخي، قريب منه في الألم، وشريكٌ له في النهوض". لقد تضرّر الكثيرون منّا، جسديًّا ونفسيًّا وماديًّا. منّا مَن فقدَ عزيزًا، منّا مَن خسر بيتًا أو جَنى عمره، ومنّا مَن هُجّر قسرًا. لذا، فإنّ التعاضد اليوم ليس مجرّد خيار اجتماعيّ، بل هو جوهر رسالتنا، تربويًّا وإنسانيًّا.

وكما أجاب السيّد المسيح عن السؤال: مَن هو قريـــبي؟ بِمَثَلِ السامريّ الصالح، كي يقول إنّ قريبك هو مَن كنتَ له قريبًا، نؤكّد اليوم، بعد أن اختبرَتْنا الحربُ، أنّ أخاك مَن كنتَ له أخًا: لولاه لَما كان لك أخٌ، لولاه لَما كنتَ أخًا لأحد. **الأخوّة نعمة: هي المكان الذي يحدث فيه الارتداد الحقيقيّ، إذ تجعلنا نختبر عمق تجذّر إنسانيّتنا.** الأخوّة هي القوّة، التي نستمدّها من تنوّعنا، لتليين القلوب وتطهيرها من وهم الاكتفاء بالذات.

٤٠٠١٦ الحدث-بعبدا، لبنان
+٩٦١ ٥ ٩٢٧٠٠٠
contact@ua.edu.lb
@uAntonine

الله حاضرٌ في الأخ الصغير المحتاج

الأخوّة هي أيضًا مسؤوليّة جادّة وملحّة. تعلّمنا قصّة الأخوَين الأوّلَين، كما في مكان آخر من الكتاب المقدّس، أنّ معيار الحكم النهائيّ ليس بما نجمعه، بل بما نعطيه: "كنتُ جائعًا فأطعمتموني... غريبًا فآويتموني... عريانًا فكسوتموني". إنّها قصّة الخالق مع المستضعَف، ووقوفه إلى جانب الصغير، وتجسّده في المحتاج؛ تقول لنا اليوم: مَن أراد اللقاء بالله، فلينزِلْ إلى الشوارع والطرقات، ويَلتَقِه في وجوه المشرَّدين والنازحين، في وجوه الجياع والعطاش. إن كان الله، وسيبقى دائمًا، نصير الضعفاء والصغار، لا نصير الطغاة الذين لا يميّزون البشر من الحجر، فهو أيضًا، وسيبقى دائمًا، نصير أولئك الذين يمدّون يد العون إلى الأخ الأصغر.

إنّ كلّ طالب تأثّرت مسيرته، ففقدَ سقفًا أو عانى وطأة النزوح، هو اليوم "الأخ الأصغر"، الذي يحتاج إلى حضورنا قربه وخدمتنا له. لذا، **نؤكّد أنّ الجامعة لن تألوَ جهدًا في ترجمة دعوة التعرّف إلى الله في الإنسانيّة، عبر خطوات عمليّة من التكاتف، لتسند بها صمود طلّابها، وتضمن استمراريّة رسالتهم العلميّة.**

الحوار طريقنا إلى السلام والوحدة

لقد علّمتْنا الأزماتُ أن القوّة الحقيقيّة لا تكمن في الإلغاء، بل في اللقاء. والجامعة الأنطونيّة، وفيةً لمبادئها، ستظلّ المساحة الحرّة التي نتلاقى فيها لنختلف بوعي، ونتحاور باحترام التنوّع، ونبني جسورًا فوق ألغام الانقسام.

الحوار هو لغة السلام، والمصالحة ليست تنازلًا، بل هي شجاعة الأقوياء، الذين يرفضون أن يكون الماضي سجنًا للمستقبل، وأن يكون المستقبل ماحيًا لثوابت الماضي. **بوحدتنا، كعائلة جامعيّة عابرة لكلّ المناطق والانتماءات والخلفيّات، نقدّم إلى لبنان النموذج الحيّ الذي يحتاج إليه للتعافي. إنّه نموذج الـ١٠٤٥٢ كلم٢، من دون شبرٍ أقل، ومن دون لبنانيٍّ واحدٍ أنقص.**

لنقدِّمْ مبدأ الحوار على مبدأ القوّة، جاعلين منه بوصلتنا، فنكرّس ميزان العدل والحقوق، فيثمر وحدةً وطنيّة وسلامًا مستدامًا؛ ولا نقبَلْ إذًا مبدأ الحقّ للقوّة، لأن واقع تجاربنا يجعلنا ندرك أن هذا المبدأ إنّما يعني أن الحكم هو للقوّة، حيث لا مكان للحقّ. آمِنوا بالحقّ، والحقّ بالصبر يحرّركم، وإلى النصر يقودكم.

نكون لبنانيّين معًا أو لا نكون

في لبنان، المعادلة واضحة: نكون لبنانيّين معًا، أو لا نكون. لقد آن الأوان كي ننقّي ذاكرتنا من رواسب الماضي السلبيّة، من الأحكام المسبَقة والأفكار المضلِّلة، من التعميم المعلِّب والتبعيّة العمياء. حان زمنُ التطلّع معًا إلى المستقبل كي نعيد بناء الهويّة الوطنيّة، لا على أساس التجاور بين الكيانات الطائفيّة، بل على أساس الانتماء إلى أرض واحدة، وتاريخ واحد، وحسّ اجتماعيّ واحد ونضال إنسانيّ واحد. فإن لم نكن معًا فلن نكون لبنانيّين، وإن لم نكن لبنانيّين معًا فلن نكون ولن نبقى.

في لبنان، نتكامل بعضنا ببعض. كما أن الجسم هو متكامل في أعضائه، فلا تستطيع العين أن تستغني عن الأُذن، ولا اليد أن تستعلي على الرِّجل، كذلك الوطن في جميع أجزائه ومكوِّناته؛ **لا يستطيع شمال لبنان أن يستغني عن جنوبه، ولا جَبَلُه أن يستعلي على ساحله وسهله.**

إن نَقْلَ الدم من إنسان إلى آخر، يعتمد على فئة الدم لا على دِين صاحبه أو طائفته؛ **ولكلِّ إنسانٍ في الأرض كرامته، كما لكلّ البشر كرامة واحدة متساوية. فلا يوجد دم غالٍ ودم رخيص.** وكلّ قطرة دم تُهرَق في الأرض تزيدها قيمةً وقدسيّة. أرض لبنان تشبَّعت بعرق جباه الفلاحين ودم الشهداء، كما أن تربته حضنت تراب رفاتهم أجمعين، فهي وديعة غالية، إذ إنّنا، حتّى بعد الموت، نكون فيها معًا. فلنَكُنْ عليها معًا قبل أن نكون فيها معًا.

من أجل بشريّةٍ أكثر إنسانيّةً

أعود إلى قصّة الأخوَين، والتي لا تعكس حسد أخٍ من أخيه فحسب، بل أكثر، إذ إنّها قصّةُ إرثٍ تتأجّج فيه رغبة الهيمنة، "وحقّ البكارة"، وروح التملّك والتناحر. ويتجلّى فيها الشعور بالمظلوميّة بدلًا من المسؤوليّة، والتعسّف بدلًا من العدل. كم علينا أن نتيقّظ لـ"قايين" الذي في داخل كلٍّ منّا. **في داخلنا فسحة يشغلها الاستياء، الذي قد يتحوّل إلى تباعُد، ثم حقد فإلغاء.** أمّا الحقد فيصوِّر لنا الآخرَ عِبئًا لا يُطاق ويجب إزالته من الوجود. كم نحن في حاجة إلى مساءلة المَعِيش ووضعه في حوار مع القيم الإنسانيّة، وإلى كشف الآليّة النفسيّة التي تحفّز العداوة، وتؤدّي إلى القضاء على الآخر.

الشر رابض على أبواب قلوبنا، يحاول تحويلنا إلى "مفترسين" بمجرد تواصلنا مع الآخرين. لكنّ الإنسان، بالوعي والحوار، قادر على السيطرة على هذا العنف؛ قادر على الانتقال من حالة "الصمت الذاتيّ" و"التطنيش" إلى القدرة على الاستماع الحقيقيّ، عبر التواصل والتلاقي والتحاور والتفاهم: **إنّه مسار تطهير نظراتنا من الكراهية بهدف تعقيم علاقاتنا الشخصيّة والاجتماعيّة من سموم الانقسام بين الإخوة** والزملاء؛ بين الأقرباء والجيران؛ بين **أبناء الوطن الوحد.** ومسؤوليّتنا، اليوم، تجاه "الأخ" الذي جاع أو عطش أو شُرّد، هي مسؤوليّة إنسانيّة وجوديّة، فإن تقاعسنا عن تلبية حاجته فإنّنا نقتله ثانيةً.

الجامعة رسالة إنسانيّة في وطن

إنّ جامعتنا لا توجد كي تتكيّف مع منطق الحرب، أو تساير روح العصر اللاإنسانيّة، بل لتواجه الظروف وتقود التغيير بمنطق سليم. والجامعة، التي تنجرف نحو الفتور والتماهي مع روح العالم، تفقد هويّتها. أمّا **قوّة رسالتنا الأكاديميّة فتكمن في أمانتنا لهذه الرسالة، وفي قدرتنا على تحويل قاعات الدراسة إلى مختبراتٍ حيّةٍ للتأنسن والنموّ المتكامل، وساحاتٍ رحبةٍ للتآخي والانصهار الوطنيّ، وواحاتٍ نضرةٍ للابتكار والإبداع العلميّ.**

أدعوكم، يا شبابنا وشباب لبنان، وأنتم طاقة التغيير: لا تَدَعوا التجاذبات تقسّمكم، ولا تجعلوا البحث عن السلام يدفعكم إلى الاستسلام. إنّ وطننا هو "بيتنا المشترك"، الذي نعيش فيه معًا؛ نمرض ونتعافى فيه معًا؛ نولَد ونحيا ونموت فيه معًا.

لقد أعطتنا الحرب فرصة لنمتحن حسَّنا الإنسانيّ ومحبّتنا الأخويّة وعمقنا الإيمانيّ: كان حتمًا امتحانًا صعبًا، هل نجحنا فيه؟ نعلم جيّدًا أنّ الأخوّة الإنسانيّة ليست أدبيّات نصُوغها، بل هي فعل متجسِّد له ثمن باهظ: لا يمكننا أن نطالب بالسيادة والحرّيّة ونحن نجتزئ الوطن أو نسكت عن الظلم؛ ولا أن ندّعي المحبّة ونحن نستغلّ حاجة الآخرين، أو نكتفي بالمشاهدة. إنّ إخوتنا في الوطن، في تنوّعهم ومحدوديّتهم، هم الفسحة الملموسة التي تتشكّل فيها إنسانيّتنا، إذ تفكّك الأُخوّةُ قساوتَنا وصرامتنا، وتعلّمنا العيش بقلب أكثر صدقًا وقدرة على الحبّ.

أتوجه أيضًا إلى كلّ الذين يقرعون طبول الموت والتعصّب، وأسال: كم من الدماء يلزمكم كي تتوقّفوا؟ فلا يمكن للصاروخ أن يزرع الديمقراطيّة، ولا للغارة أن تنشر السلام، ولا للحصار أن يحرّر. عِلمًا أنّ الكلمة قد تهدم ما لا تستطيع هدمه غارة، وقد يقتل التعصّب في النفوس ما لا يستطيع نسفَه صاروخ؛ فكم من كلمة أَكْلَم من لكمة.

في زمن الحرب، تتأثّر إنسانيّتنا وتتبدّل، لكن ليس إلى حدّ أن تفقد ذاتها. كلّنا معنِيّون بهذه الحرب، وكلّنا مسؤولون عن نتائجها. فلا يجب أن تقتصر مشاركتنا فيها على وضع البخّور، لأنّ كلّ كلمة نقولها قد تبني وقد تهدم، وكلّ نظرة نُلقيها قد تُحْيي وقد تُميت. **فالمعيّة في الوطن والأخوّة في الإنسانيّة هما الطريق الحقّ والصراط المستقيم لنحفظ وطننا وإنسانيّتنا.** لا تسمحوا لأحدٍ أو لأيّ فكرٍ أن ينتزع منكم إنسانيّتكم. إن فقدَنا حسّنا الإنسانيّ فسوف نتحوّل تلقائيًّا إلى أعداء للوطن وأبنائه؛ **لنَكُن من أنصار الأخوّة الإنسانيّة كي نكون حُماة الوطن.**

خاتمة: عودة إلى آدميّتنا

ختامًا، **لنَعُدْ بشرًا "آدميّين"**، ولنستَعِدْ صورة الله فينا. لنستعِدْ ما يميّزنا من سائر المخلوقات. لنَعُد إنسانيّين، أحرارًا من كبريائنا وأنانيّتنا. **لنحرّر عقولنا وسلوكنا من المخاوف والتبعيّة وتلاعب الآخرين بنا. لِنَعِ ماضيَنا وندرك حاضرنا ونتشارَك في مستقبلنا.**

نشكر الله معًا على سلامة كلٍّ منّا، ونسأله الشفاء لجميع الجرحى، والراحة الأبديّة لجميع الشهداء. نطلب منه أيضًا الصبر والسلوان والتعزية لكلّ من كابد وتألّم لفقد أحبّاء وأعزّاء، لخسارة بيت أو رزق، لعيش التشرّد والخوف، لاختبار الجوع والذل.

حمى الله لبنان وأرضه، عرْض المتّقين، وبارك عائلتنا الأنطونيّة، وأعطانا القوّة لنكون فعليًّا "صانعي سلام" في وطننا، والشجاعة لنكون "إخوة في الإنسانيّة" داخل شرقنا والعالم.